

الصيغ النذرية التعبيرية للنصب النوميديو-بونية المخلدة لذكرى

بعل امون

The expressive votive formulas of the Numidian-Punic steles commemorating

Baal Ammon

زينب بلعابد

جامعة قسنطينة 2 - عبد الحميد مهري -

Zineb.belabed@univ-constantine2.dz

تاريخ القبول: 2024/05/30

تاريخ الاستلام: 2024/03/23

ملخص:

أردنا في هذه الورقة البحثية التطرق إلى مدى تخليد ذكرى الاله بعل أمون بين أوساط المجتمع النوميدي، معتمدين في ذلك على أهم مصدر مادي وهو النقوش الكتابية التي عثر عليها في مختلف أرجاء المملكة، حاولنا ان نستخرج الصيغ النذرية التعبيرية الموجهة إلى الاله أمون والتي لا تخرج عن كونها أدعية ومطالب يوجهها العابد للإله وتكون سرية إلى أقصى الحدود، وقد دلتنا هذه الصيغ أن هذا الاله كان في نظر الفرد السيد والمولى والمقدس وإله المعبد والبيت، كما تقرب منه العابد بالعديد من النذور سواء كانت بشرية أو حيوانية وحتى نباتية، وكانت عبادته فردية وقد تكون جماعية. وبطبيعة الحال لم نتمكن من الوصول إلى هذه النتائج لولا اعتمادنا على المنهج التاريخي التحليلي والمقارن.

الكلمات المفتاحية: عبادة، صيغ، تعبيرية، القران، أمون.

Summary : In This research paper, we aimed to explore the extent to which the memory of the god Baal Hammon was immortalized among the Numidian community. We relied on the most significant material source, the inscriptions found throughout the kingdom. We attempted to extract the votive expressions directed towards the god Hammon, which mainly consisted of prayers and requests made by worshippers to the god in utmost secrecy. These expressions indicated that the god was regarded by individuals as the lord, master, and holy deity of the temple and home. Worshippers sought his favor through various offerings, whether human, animal, or even vegetal, and his worship could be individual or communal. Naturally, we could not have reached these conclusions without relying on the historical, analytical, and comparative methodology.

keywords: Worship, Votive Expressions, Offering, Baal Hammon.

المؤلف المرسل: زينب بلعابد ، الإيميل: zineb.belabed@univ-constantine2.dz

أولاً. مقدمة:

يُعتبر الجانب الديني من أهم المقومات الحضارية التي بفضلها يمكننا التوصل إلى معرفة المستوى الفكري للمجتمعات والوقوف على اعتقاداتهم وطقوسهم. إلا أن الخوض في مثل هذه المسائل ليس بالشيء الهين أمام نقص المادة العلمية. ومع تطور الأبحاث الأثرية، ساهمت في الكشف عن أسرار هذا الجانب من خلال تزويد الباحثين بمعلومات عن العقائد الدينية التي لا نجدها في النصوص الأدبية.

ولعل هذا ما دفعنا لمحاولة معرفة بعض جوانب الحياة الدينية للمجتمع النوميدي، من خلال معبودهم المجل "بعل آمون" (حامون)، معتمدين في دراستنا على أهم مصدر أثري اكتُشف في المملكة، وهو النقوش الكتابية التي فضلنا تسميتها بالنوميديو-بونية، إيماناً بالتأثير البوني سواء من حيث الشكل أو المضمون، ولكن لن ننسى أنها أنجزت بسواعد نوميديّة وكانت إهداءات من أفراد هذا المجتمع، والتي وُجدت على مجالهم المقدس.

أهمية النقوش النوميديو-بونية تكمن فيما تركته لنا من صيغ نذرية تعبيرية خلّدت ذكرى العديد من المعبودات، منها معبودهم المجل بعل آمون. من هذا المنطلق، أردنا استخراج تلك الصيغ للكشف عن الجانب العقائدي لهذا الإله، كيف عُبد وما هي صفاته وطبيعة نذوره. وباختصار، كيف تم تخليده من خلال الصيغ النذرية التعبيرية؟ وأيضاً محاولة الخوض في سر انتشاره، وهل لكونه ذو أصول محلية أو لأنه دُخِل على المجتمع؟

للوصول إلى ما نصبوا إليه، كان علينا جمع كل التقارير والدراسات التي نُشرت حول هذه النصب، لاسيما المتعلقة بالإله بعل آمون، ثم محاولة مقارنتها بالنصب التي اكتُشفت في العالم البوني المحيط بالنوميديين. لإنجاز هذه

الدراسة، كان علينا الاعتماد على المنهج التاريخي التحليلي والمنهج التاريخي المقارن. وعن العناصر التي وجدناها ضرورية في مثل هذه المواضيع، كان علينا أن نركز على التعريف بالنصب النوميديو-بونية واستخراج كل الصيغ النذرية التعبيرية، ولا ننسى التطرق إلى أصل الإله بعل آمون.

ثانياً: النصب النوميديو-بونية بالمملكة:

نظراً للأهمية التي تكتسبها هذه النقوش في دراستنا، حيث تعتبر من أهم المصادر المادية التي تعرفنا بمدى تخليد ذكرى عبادة الإله آمون في أوساط المجتمع النوميدي، وجدنا من الضروري أن نعرف بهذه النصب وأهم أماكن تواجدها.

1. التعريف بالنصب النوميديو-بونية:

أستمد مصطلح نصب من الكلمة البونية (ن ص ي ب) " نصيب" (Ncib) أو نوصب (Nusb)، التي وردت على النقوش وتدل على الحجارة المنصوبة¹. إلا أننا نلاحظ أن هذه الكلمة تغيرت إذا ظهرت على النصب العائدة للفترة النوميديو-بونية بمصطلح " م ت ن ت " ((M T N T أو (أ ب ن) (A B N)². وقد تكون جنائزية كشاهد لتخليد ذكرى ميت أو نذرية كُرسيت على شرف الإله، حتى تكون مقرا له وتوضع عادة داخل المعابد والأماكن المقدسة³. اعتماداً على الدراسات، تبين أنها أخذت شوطاً كبيراً في تطورها، إذ كانت بدايتها مع الحضارة الفينيقية، حيث تم اكتشاف أولى النُصب خلال الألف الثانية قبل الميلاد⁴، وكانت بأشكال مختلفة منها الشبيهة بالعرش وأخرى على شكل نيسكوس المرتكزة على قاعدة، إلا أنه مع بداية ظهور القرن الخامس ق.م، لوحظ تغير في حجمها، إذ أصبحت أصغر مما كانت عليه وذات شكل مستطيل بجبهة ثلاثية، وهو الصنف الذي تنتهي إليها النصب النوميديو-بونية⁵.

أما عن الزخارف التي وُضعت عليها، فكانت في البداية مستوحاة من الفن التصويري المصري، مثل صورة الحية والقرص المجنح. تأثرت فيما بعد بالزخارف الإغريقية، فاستُعمل الشكل البيضوي وكذلك الأعمدة الدورية والأيونية وواجهات المعابد والعديد من الصور النباتية والحيوانية⁶ وغيرها. كانت هذه النقوش تحتوي أيضاً على صيغ تعبيرية مكتوبة، إما بحروف بونية ذات شكل أنيق أو بحروف مختزلة عُرفت بالبونية الحديثة. شهدت هذه المجموعة الأخيرة انتشاراً كبيراً بعد سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م، ووصلت إلى كل مناطق المملكة النوميديّة.

كانت وظيفة هذه النقوش تذكير البشر بالعبادة التي تتم عن طريق أفعال أو أقوال خلقتها الصيغ التعبيرية التي لا تخرج عن كونها أدعية ونذور توجه للمعبود من قبل العابد، وتكون سرية بينهما. إذا استجاب الإله للمطالب المرجوة، يقوم صاحب الإهداء بأفعال طقوسية كامتنان وشكر، تبدأ بزيارة المعبد، حيث يتم ذبح القرّبان ثم حرقه ووضع داخل خابية تُدفن أسفل المجال المقدس. تُنصب فوقه حجارة تُعرف بالنُصب، وتُطلى إما بدم القرّبان أو الزيت أو الدهن، وتجسد هذه الأفعال حسب طقوس خاصة لا يمكن تجاوزها، كأن تُنصب الحجارة عمودية وتُوجه نحو الشرق. لأهمية هذه النُصب في نفوس أصحابها، كانوا حريصين على استمرار وجودها في مكانها، حتى تُرى من قبل زوار المعبد وتكون ذكرى مخلدة لصاحبها. ومن يتعرض لها بسوء يُدعى عليه بالنكس، وهو أقصى العقوبات أي السقوط على الرأس⁷.

2. النصب المكتشفة بالمملكة النوميديّة :

تم اكتشاف العديد من النُصب النوميديو-بونية في مختلف أنحاء المملكة ولم تخص فقط المناطق الساحلية، بل حتى المدن الداخلية. إلا أن انتشارها الفعلي كان في الناحية الشرقية مقارنة بالناحية الغربية. وباعتماد على المعطيات الأثرية، تم العثور عليها في مدينة توبورسيكوم بور

(Thubursicum Bure)(تبرسق حاليًا). كان الفضل للدكتور كارتون (Carton) الذي عمل على دراستها، وكذلك الباحث محمد حسين فنطر الذي خص بالدراسة المجموعة الثانية التي اكتُشفت سنة 1965 والتي بلغت 20 نصبًا. تم اكتشاف عدد منها في مدينة دوقا (Thugga) وبلغ المعلن عليه 449 نقشًا، درست هي الأخرى من قبل الباحث كارتون و بوانسوت (Poinssot) والباحثة كولت بيكار. (Colette Picard) "8. كما عثر في الآونة الأخيرة على 100 نصب بضفاف واد "باب العين" بمدينة مكثر (Mactaris) ، نشرت الباحثة " كولت بيكار " 73 نقش منها، انجز عمل مشترك حولها ما بين " محمد حسين فنطر " و موريس سنيترار (M. Sznycer) اللذين تكفلا بدراسة النقوش الكتابية، وكُلفت الباحثة " كولت بيكار بدراسة الجانب الزخرفي التصويري لهذه النقوش.⁹ زيادة على ذلك، تم اكتشاف العديد من النُصب بمنطقة " بولا ريجيا Bulla-Regia " (حمام دراجي حاليًا) و ذلك ما بين 1959-1961 و درست من قبل الباحث " كارتون " ¹⁰ و " كوليت بيكار " ¹¹ و عالية بين يونس " ¹² بالإضافة إلى ذلك ، تم اكتشاف عدد من النقوش بشمال غرب مدينة قالمة على الضفة اليسرى من واد "السخون"، على بعد 500 م. كما اكتُشفت مجموعة أخرى في منطقة "عين النشمة"، التي تبعد عن جنوب غرب قالمة بحوالي 4.5 كلم، ويعتقد ان هذه المدينة لازالت مركزا للنصب النوميديو-بونية.¹³ ومن المدن الداخلية التي تم العثور بها على هذا النوع من النصب، نذكر كذلك تيديس، حيث اسفرت تنقيبات الباحث أ. برتيي A.Berthier على استخراج من قمة جبل رأس الدار 12 النقش يحمل كتابة بونية حديثة والتي درست من قبل الباحث أ. برتيي و " موريس لوغلي M. Leglay " ¹⁴.

إلا أن أكبر اكتشاف لهذا النوع من النصب كان في عاصمة المملكة النوميديّة كيرتا حيث تم العثور على حوالي 485 نقش منها التي حملت كتابات بونية وأخرى بونية حديثة وكذا كتابات اغريقية ولاتينية، كما درست أيضا من

قبل العديد من الباحثين أمثال أ. برتي و ر. شارلي¹⁵ R. Charlier و ف. بيرتراندي F. Bertrandy وم سنيترار¹⁶.

وإلى جانب ما ذكرناه آنفاً، فقد تم العثور على العديد منها بالمدن الساحلية النوميدية نذكر منها مدينة هيبون (عناية حالياً) التي اسفرت التنقيبات الأثرية على وجود 8 نصب تعود إلى الفترة بعد سقوط قرطاجة و درست من قبل الباحث "م. لوغلي"، هذا و لا ننسى إشارة الباحث أ. مارتوت دولامال كاربون A. Matrot De la malle Carpon عن جود حوالي 41 نصب تعود لنفس الفترة، والتي ضاعت أثناء الحرب العالمية الثانية¹⁷ كما تم العثور على نصب واحد في مدينة روسيكادا (سيكيدة حالياً)، هذا بالإضافة إلى العثور على العديد من النقوش بكل من مدينة دلس و راس جنات¹⁸ و إيكوزيوم (الجزائر العاصمة حالياً) و التي حفظت في متحف الوطني العمومي للأثار القديمة بالجزائر العاصمة¹⁹ أما عن تيبازة ، فقد أكتشف القائد العسكري " باراداز Baradez " العديد منها في مختلف مناطق المدينة لاسيما الميناء²⁰، و الواضح أن مدينة (بورتوس ماغنوس Portus Magnus التي تعرف ببطيوة حالياً و الواقعة غرب الجزائر، عثر بها على عدد من النصب تعود إلى نفس الفترة²¹.

ثالثاً: الصيغ النذرية التعبيرية للإله بعل آمون على النصب النوميدو-بونية: بعد التقديم التمهيدي حول النصب التي تم الاعتماد عليها في معرفة خفايا موضوع الدراسة، وجدنا من الضروري قبل استخراج تلك الصيغ التعبيرية ، ان نتطرق إلى التعريف بأصول الإله بعل آمون:

1. أصول الاله بعل آمون:

يعتبر الإله بعل آمون من أكثر الآلهة النوميدية شيوعاً، إذ انتشرت عبادته بشكل واسع في ربوع المملكة. ولعل هذا التميز عن غيره من الآلهة جعل

الباحثين يخوضون في أصوله الأولى ومحاولة معرفة سر شهرته، وهل هي متعلقة بأصله المحلي أم أنه دخيل على هذا المجتمع؟ للإجابة على هذه التساؤلات، اعتمدنا على مختلف المعطيات العلمية التي أكدت لنا بروز صورة الكبش، الرمز الذي اتخذته كإله لبي محلي، على معظم الرسوم الصخرية على امتداد الأطلس الصحراوي والهقار وتاسيلي منذ حوالي 9500-7500 ق.م²²، بعض الأبحاث تقتصر هذا الظهور على العصر الحجري الحديث (5000-6000 ق.م)²³.

إضافة إلى ذلك، أشارت الأبحاث الأثرية إلى أن الفترة النيوليتية في الصحراء الإفريقية تعرضت إلى تغيرات مناخية وصلت إلى حد التصحر، مما دفع بسكانها إلى الهجرة من المنطقة آخذين معهم مقوماتهم الحضارية. فاتجه فريق منهم إلى الناحية الجنوبية وتوغل في الصحراء الإفريقية، وفريق اتجه نحو الشمال الشرقي، ومنهم من واصل مسيرته إلى فزان ثم إقليم برقة، وآخرون واصلوا إلى طيبة المصرية. وبذلك، فإن كل المنطقة الليبية والمصرية كانت مسرحاً لعبادة الكبش، رمز الإله آمون منذ أكثر من 3000 سنة ق.م.

أما عن المجموعة التي استقرت في منطقة فزان واتجهت إلى برقة، فقد استمرت في عبادة هذا الإله في هيئة كبش و بعد الدخول الاغريقي للمنطقة تأثروا به اتباع الاله زيوس و اطلقوا عليه اسم " زيوس آمون" تماشيًا مع التقاليد المصرية، كما انتشرت عبادته و وصلت إلى واحة سيوة، و كان له اثر بليغ في نفوس المجتمع الاغريقي، و بمأنه إله النبوءات فكانت ترسل إليه الأسئلة من سكان أثينا، و أنشأت له معابد في ارجاء قورينة و أماكن مختلفة من بلاد اليونان، و يقال ان الاسكندر الأكبر قد زار معبده في سيوة²⁴.

أما عن علاقة الإله "أمون رع" الفرعوني بالإله آمون الليبي المحلي، فتشير الدراسات إلى أن عبادة آمون ظهرت وترعرعت في إقليم طيبة وانتشرت خاصة منذ عصر الدولة الوسطى (1778-2000 ق.م). وكما هو معروف

تاريخياً، كان الإله رع الإله الأعلى للمصريين في فترة الدولة القديمة (3200-2280 ق.م). نتيجة لانتقال مقر الحكم من مدينة "منف" إلى "طيبة" التي كانت تعبد الإله آمون، امتزج الإلهان فظهر الإله آمون رع الذي سيصبح سيداً للآلهة المصرية²⁵.

عند قدوم الفينيقيين للسواحل اللوبية منذ حوالي الألف الثانية عشر ق.م، تأثروا بالثقافات التي واجدوها عند أهالي المنطقة وهؤلاء أيضاً تأثروا بثقافتهم. ولكن الامتزاج الفعلي كان بعد تأسيس مدينة قرطاج حوالي 814 ق.م، حيث جلب هؤلاء معهم عبادة الإله بعل ووجدوا بدورهم عبادة الإله المبجل للأهالي آمون، فامتزجت الديانتان وظهر الإله الجديد المعروف ببعل آمون. هذا الامتزاج ليس غريباً، خاصة أنه حصل مع الإله آمون رع المصري والإله زيوس آمون الإغريقي. وبهذا انتشرت عبادة هذا الإله الجديد وعمت أرجاء اللوبية بما فيها المملكة النوميديّة حيث بقيت آثاره خالدة على جل النقوش النوميديو-بونية²⁶.

2. الصيغ النذرية التعبيرية للإله بعل آمون من خلال النصب النوميديو-بونية:

لقد تركت لنا النقوش العديد من الصيغ النذرية التعبيرية في شكل أدعية، يُراد منها إما طلب زواج، أو نجاح، أو ولد بدلاً من المتوفي، وغيرها من الأمانى. وكانت هذه الصيغ مكونة من عناصر أساسية تبدأ بعبارة استدلالية يذكر فيها الإله، ثم يأتي ذكر طبيعة النذر المقدم، وعادة ما يكون مجهولاً على النصب النوميديو-بونية، حيث يُعبّر عنه بصيغة "ن د ر ا ش ن د ر" والتي تعني "ما نذره" أو "النذر الذي نذره". ثم يُذكر اسم ونسب صاحب الإهداء، وهو الوارد على جل النصب، لكن نادراً ما يُشار إلى وظيفته أو مهنته. وفي آخر الصيغة النذرية تُذكر عبارة "سمع قوله فباركه".

ومن خلال ما سبق، تبين أن هذه الصيغ قد خصت العديد من الآلهة، لكن الإله بعل آمون تصدرها. وسوف نقوم في هذا المقام باستخراج كل الصيغ المتعلقة باسمه أو الصفات التي خلدها.

أ. اسم الإله بعل آمون من خلال الصيغ النذرية التعبيرية:

بعد الدراسة المعمقة في الصيغ النذرية التعبيرية المستخرجة من النصب، تبين أن اسم هذا الإله أخذ العديد من الصيغ التي برزت بحروف صامتة، كما هو الحال في الكتابات السامية القديمة. حيث ذكر اسمه بصيغة "ب ع ل ح م ن"، وأيضًا "ب ع ل آ م ن"، و"ب ع ل ع م ن"²⁷. ونعتقد أنه نفسه "بعل آمون". ونعتقد أنه نفس "بعل آمون" - والتي كانت متواجدة بكثرة على نصب معبد الحفرة. أما نصب مدينة قالمة فانفردت بصيغة "ب ع ل أم ن"²⁸. كما أطلق عليه اسم "ب ع ل" فقط كما بيّنته صيغة نقش سوق هراس وبعض صيغ نقوش تيديس²⁹.

أما عن وضعية اسمه في تلك الصيغ التعبيرية، فكانت تختلف من نقش إلى آخر. في بعض الأحيان، يكون الاسم في الصيغة الاستدلالية وهي الوضعية المنطقية، وانتشرت خاصة بصيغ معبد الحفرة، كما ذكر على هذه النقيشة:

إلى المولى بعل حمن

ما ندره عبد أرمي

بن عزز بعل سمع قو

له، فباركه³⁰.

وقد يشار إلى اسم الإله في الوسط بعد ذكر صاحب الإهداء وتقديم نذره كما جاء في نقش اكتُشف بمدينة عنابة وكان نصه:

تبعاً للنذر أريش بن شتار بن بودملقارت بن ... "نذر على محرقة

الإلهة"

تأنيت بني بعل و الإله بعل حمون"³¹.

وفي أحيان أخرى، يأتي اسم "بعل آمون" مباشرة بعد ذكر النذر كما يبينه إهداء مكتوب على إحدى النقوش المكتشفة بمعبد الحفرة والمتمثل في:

نذر ندر(ه) إلى بعل
 حمّن حمد (كت بن)
 مصلحّم لأنّه (سمع قوله)
 باركه³².

إذن، فقد ذكر هذا الإله بصيغتين "بعل حمون" و "بعل آمون"، ولعل هذه الصيغة الأخير توحى لنا بأن المجتمع النوميدي قد حفظ على الاسم القديم لهذا المعبود و الذي ظهر منذ آلاف السنين، كما أن هذا الاسم أيضا يميزه عن المعبود "حمون" الذي انتشر ذكره خاصة في العالم البوني، ولعله انتقل مع البحارة الفنيقيين للمنطقة، هذا إذا سلمنا بالرأي القائل أن المصطلح كان موجود لدى الشعب الفينيقي منذ القرن الحادي عشر ق.م، كما دل عليه ذلك النقش الموضوع على قطعة حجرية مخروطية التشكل عثر عليها في مدينة "بيلوس"³³. بالإضافة إلى النصب المكتشف بمنطقة "زانجرلي" بالأناضول العائد للقرن التاسع ق.م (825 ق.م) والذي سُجل عليه صيغة "وي ش ح ن ر اش ب ع ل ح م ن اس ل ب ع م ح" والتي تُرجمت إلى "فليحطم بعل حمون الذي ينتمي إلى ب س م رأسه".³⁴

لأن الرأي الأكثر واقعية وتطابقاً مع صفات هذا الإله هو أن مصطلح حمون مستمد من الكلمة السامية "حامانيم" والمقصود بها "المحرقة" أو "المبخرة" أو "مقطر البخور". وفعلاً، ارتبطت عبادة هذا الإله بحرق القرابين والطيب والبخور والعطور. كما يمكن اعتبار مصطلح "حمون" نابعاً من الكلمة السامية "حمم" التي تعني لهباً والجمر، وفعلاً فإن السيد بعل آمون هو سيد لهب الشمس.

أما الباحث محمد حسين فنطر، فكانت له نظرة مخالفة إذ اعتبر كلمة حمون هي لفظ الحماية، أي الإله حامينا الذي يسهر على حماية عباده فهو الإله الأعظم وشافعيهم³⁵.

إذن، واعتمادًا على ما سبق، فإن استعمالنا لمصطلح "أمون" كان مؤسسًا، حيث ظهر بشكل كبير على النصب النوميديو-بونية، لاسيما على نصب معبد الحفرة بكيرتا العاصمة أو على نصب مدينة قالمة، ناهيك عن أنه الاسم الأصلي في العبادة المحلية.

ب. صفات الإله بعل أمون من خلال الصيغ النذرية التعبيرية:

بعد أن تطرقنا لاسم الإله من خلال تلك الصيغ التعبيرية، نحاول في هذا العنصر أن نستخرج الصفات المحببة لهذا الإله والمخلدة لذكراه والمتمثلة في:

- أدن: لقد كانت بعض الصيغ النذرية تبدأ بكلمة "أدن"، الدالة على كلمة المولى أو السيد. في الحقيقة، أن مصطلح "أدن" شرقي جاء مع الفينيقيين وانتشر بقرطاجة ثم أصبح من الصيغ التعبيرية لوصف الآلهة على النقوش النوميديو-بونية³⁶، وقد انتقلت هذه الصفة أيضًا إلى الإله الروماني "ساتورن" (Saturne)، حيث كانت صيغة "دومينو" (Domino) "من أهم صفاته"³⁷.

- ح ق د ش: لقد وُصف هذا الإله أيضًا على تلك النصب بكلمة "ح ق د ش" الدالة على لفظ القديس. ولعل هذا المصطلح مستمد من فكرة النقاء الروحي الذي يتمتع به هذا الإله، كما عُوِّضت تلك الصفة بصيغة "سانكتو" (Sancto) "38" في الفترة الرومانية. والملاحظ أيضًا أنه في إحدى نصب معبد الحفرة، عُوِّض بعل أمون بـ "بعل المقدس"³⁹. إلا أن الباحث محمد حسين فنطر كانت له وجهة نظر مخالفة واعتبر أن صيغة "م ق د ش" تدل على معبد، بدليل أن القرطاجيين كانوا يطلقون على المعبد اسم "قدش"⁴⁰.

- ب ع ل ب ت :بالإضافة إلى كونه إله المعبد، يظهر بعل آمون أيضاً بصيغة "بعل البيت"⁴¹، لكن هذه الصيغة غير واضحة. هل تعني فعلاً بعل المعبد باعتباره بيت الإله؟ أم أنها تدل على الأسرة الحاكمة أي إله هذه الأسرة؟ ولكن لعدم توفر المعلومات، نترك علامة الاستفهام.

- ل م ل ك ي :تدل صيغة "ل م ل ك ي" التي ارتبطت ببعل آمون على أنه الملك أو مالكيهم، خاصة وأن التقاليد الشرقية كانت تعتبر الآلهة ملوكاً، وكانت توصف بها أكبر آلهتهم. كما أن هذه الصيغة هي أصل الصيغة اللاتينية "كايسوس جوليوس قيصر اوكتافيانوس اوغوستوس (Caius Julius Caesar)" (Octavianus Augustus التي رافقت الإله الروماني "ساتورن"⁴²).

وعلى ضوء ما سبق، فإن بعل آمون عُبد في كامل البلاد النوميديّة تقريباً، ويعتبر الإله السيد أو الملك والمولى وإله المقدس.

ج: طبيعة النذور المقدمة للإله بعل آمون من خلال الصيغ النذرية التعبيرية:

تعتبر التضحية وسيلة تقارب بين العابد والمعبود، يُلتجأ إليها من أجل قبول الرجاء والدعاء، حيث تلعب دور الوساطة بين الطالب والمستجيب له. وعلى ضوء الدراسات التي قمنا بها عند استخراج الصيغ التعبيرية المتعلقة بطبيعة النذور المقدمة للإله بعل آمون، تبين أن المجتمع النوميدي كان مواظباً على تقديم نذوره والتقرب من الإله. لكن ما لوحظ عليه أنه لم يكن مقيداً بوقت معين؛ فقد يكون النذر بالنسبة له تحفيزاً لقبول دعواته. وتبين ذلك من خلال الصيغة النذرية التي جاء فيها: "قد سمع قوله فباركه"⁴³. ونستشف من هذه الصيغة أن القربان قُدم قبل تحقيق الرجاء. أما صيغة "سمع قوله وباركه"، في هذه الحالة أن القربان جاء من أجل شكر نعمة الإله بعل آمون بعد أن حقق طلبه واستجاب لدعائه. أما عن طبيعة القربان، فقد بينته العديد من الصيغ سواء كان بشرياً أو حيوانياً.

-القرايين البشرية للإله بعل آمون من خلال الصيغ النذرية التعبيرية:

أما عن القرايين البشرية التي حُصصت للإله بعل آمون، فلا يوجد تأكيد أو نفي حولها. فقد استُمدت فرضية هذا النوع من النذور بحكم أن المجتمع الكنعاني كان يمارسها في بداية حضارته، ثم استمرت مع المجتمع الفينيقي الذي نقلها بدوره إلى المجتمع النوميدي عن طريق قرطاجة. كما أن الباحثين توصلوا إلى هذه الظاهرة من خلال تفسيرهم لبعض الصيغ النذرية التي انتشرت على النصب النوميديو-بونية، إلا أنها كانت فرضيات فقط لم يُجزم فيها بعد. والملاحظ أن هذه الصيغ تظهر معظمها على النصب المكتشفة بمعبد الحفرة، حيث عثر الباحث ج. ج. فيفري على صيغة نذرية بعبارة "رحم م ح ن م"⁴⁴، التي فسرهما "رحم ونام"، فاعتقد أن الأمر يتعلق بطفل قدم كتضحية بشرية للإله آمون، الذي طُلب منه الرحمة.

إضافة إلى ذلك، تم العثور على صيغة نذرية تتمثل في: "م ل ك أم د"، وكان للباحثين في تفسيرها اختلافات واضحة. فكان البعض يعتقد بأنها صيغة "م ل ك" تعود في الأصل إلى معبود سامي، عُثر على اسمه مكتوباً على نصب أغاريت وماري وإبلا. لكنه أخذ صيغة "ماليك"، وهو إله تتعلق عبادته بالمواليد المتوفين والأجنة التي يعطيها الحياة، فاعتقدوا أن هذه الصيغة متعلقة بتضحية بشرية دموية تخص أطفالاً صغاراً تُقدم للإله "بعل آمون"⁴⁵.

إلا أن هذه الفرضية لقيت معارضة كبيرة من قبل الباحثين الذين نفوا مثل هذه التصرفات واعتقدوا أن تلك الصيغة النذرية تخص أطفالاً ماتوا صغار السن أو ولدوا موتى نتيجة إجهاض مثلاً، فقدموا للإله "بعل آمون" بعد أن مُورست عليهم طقوس خاصة على أساس أنهم لا ينتسبون لصف الأموات، بل هم أطفال استعادتهم الآلهة⁴⁶.

ورغم هذه التناقضات، تؤكد لنا المصادر القديمة استمرارية التضحية البشرية في أواسط المجتمع النوميدي حتى القرن الرابع الميلادي، وذلك اعتماداً

على ما ذكره القديس ترتليان (Tertullian) ، الذي أشار إلى أن التضحية البشرية استمرت في إفريقيا الرومانية حتى عهد الإمبراطور تيبير (Tiberius) ، الذي عمل على القضاء عليها، إلا أن الكهنة استمروا بضجون بأطفالهم الصغار في سرية تحت شرف الإله "ساتورن"⁴⁷ الذي كان في الأصل بعل آمون. وإذا أخذنا بما جاء عند المؤرخ كروبيوس، فإن هذه الظاهرة استمرت في بعض المناطق النوميديّة إلى غاية القرن السادس الميلادي، حيث كان الأهالي يذبجون الحيوانات في معسكرهم ليلاً تقريباً من ألهمهم: (جرزيل وآمون وسينفر، أما الإله "ماستيمان" فكان يُقدم له القرابين البشرية)⁴⁸. رغم استمرار التضحية البشرية حتى وقت متأخر في المجتمع النوميدي، إلا أنه تم تعويضها بتضحية أخرى حيوانية ظهرت منذ القرن الثاني قبل الميلاد.

-القرابين الاستبدالية للإله بعل آمون من خلال الصيغ النذرية التعبيرية: تبين الأبحاث والاكتشافات الأثرية أن المجتمع النوميدي قد مارس التضحية الاستبدالية، والتي نقصد بها تعويض الأضاحي البشرية بأخرى حيوانية. وإلى جانب الصيغ النذرية التي أشارت لهذه الظاهرة، فإن البقايا الأثرية المكتشفة في المعابد أو المجال المقدس "التوفاة"، تدل على أن الخوابي المدفونة تحت هذا المجال كانت تحتوي على بقايا عظام حيوانية تتمثل في نوع من الثدييات الصغيرة وطيور، ولم يُسجل وجود عظام إنسانية منذ القرن الثاني قبل الميلاد، وهذا ما عُثر عليه في "توفاة" دوقا وبطيوة⁴⁹.

أما عن الصيغ النذرية التي تعبر عن التضحية بالحيوان، فقد ظهر على نصب معبد الحفرة وقالة صيغة "ز ب ح" التي فُسرّت بعبارة "ذبح قربان"⁵⁰ وصيغة "أزرم أش"، التي فُسرّت أيضاً بالتضحية بالحيوان⁵¹. وإلى جانب ذلك، ظهرت صيغة على نصب معبد الحفرة متمثلة في: "ب ش ر م ب ت م"، والتي

فسرها الباحث ج. ج. فيفري بعبارة "تعويض لحم الطفل بلحم الخروف"، أي تعويض صاحب الإهداء الطفل بالخروف⁵².

إلا أن الباحث "أ. برتي" كان له رأي آخر حول تفسيرها، حيث اعتبرها اسمًا لمكان وليس لها علاقة بتضحية الاستبدال، خاصة أنها مسبوقة بحرف جر، فيمكن أن تكون اسم مدينة سیرتا قديمًا أو اسم مكان مجاور لها⁵³. ونحن لنا رأي آخر، فإذا ما نظرنا إلى صيغة "ش ر م"، نجدها مستمدة من كلمة عبرية تدل على شق في جبل، كذلك بالنسبة لمصطلح "ب ت م" الدالة على مكان عالٍ⁵⁴، وعليه فيمكن أن تكون تخص اسم مكان المعبد خاصة أنه يشبه ذلك، حيث بني المعبد في مكان عالٍ. وتبقى كل هذه التفسيرات فرضيات فقط إلى غاية العثور على مصادر جديدة.

إلا أن الصيغة النذرية التي اكتُشفت على نصب لاتيبي يعود إلى القرن الرابع الميلادي عُثر عليه بمنطقة "نقاوس (Ngaous)" تؤكد ذلك الاستبدال، وهذا من خلال صيغة جديدة ممثلة في عبارة "أ م ر مولوش" أو "مولوخو" (Moloch)، أي "مولوكومورو" أو "مولوخومورو" (Molchomoro)، والتي فُسرت على أنها تدل على "استبدال الخروف عوض الطفل"، لأنه يشارك معه في ثلاث أشياء: "الدم بالدم، والحياة بالحياة، والروح بالروح"⁵⁵.

ولعل هذا النصب ظهر في فترة الإمبراطور "تيبير"، الذي حارب بقوة هذه الظاهرة في المجتمع النوميدي خلال القرن الرابع الميلادي، فإلى جانب نصوص قوانين رادعة وضع تفسيرًا لهذا الاستبدال، حيث يشترك الخروف والطفل في عناصر أساسية يفضلها الإله "ساتورن" الذي كان "بعل آمون" سابقًا.

أما عن نوعية هذه النذور والأضاحي المقدمة للإله بعل آمون، فكانت تختلف بين العجلة أو البقرة الصغيرة. حيث عُثر على نصب اكتُشف بمنطقة خنشلة ظهرت عليه صيغة "ب ي ج أ ز ب ح" والتي فُسرت "بذبح عجلة أو بقرة

صغيرة⁵⁶، " وكذلك كان أهل قالمة القدماء يفضلون تقديم الخروف كقربان للإله آمون، حيث ظهر هذا جلياً في الصيغ النذرية المستخرجة من نقوشهم والمتمثلة في: "ز ب ح د م ل ك أزر م أش أو أش ت"، والتي فُسرَت بـ"تقديم قربان خروف (قد يكون ذكراً أو أنثى)"، وكان يُعوض أيضاً مصطلح "ز ب ح" في كثير من الأحيان بكلمة "ن ش أ" التي تعني "قدم"⁵⁷.

وظهرت إلى جانب التضحية الحيوانية أخرى نباتية، جاءت في صيغة "مينحا (Minha)" التي ظهرت على النصب المكتشفة في منطقة ألتيبوروس، والتي قدمت للإله من قبل جمعية "م زرح"⁵⁸.

هذا ولا ننسى أن الإله كان يُتقرب منه أيضاً بالعطور والبخور، حيث تم اكتشاف العديد من قوارير العطر داخل المعابد وكذلك بعض آثارها التي ما زالت عالقة على مختلف الأواني. ولعل الإشارة إلى أنواع البخور التي ذُكرت على نقيشة ألتيبوروس "تعكس تلك الأهمية"⁵⁹.

-عبادة الاله بعل امون حسب الصيغ النذرية التعبيرية:

أما عن تقديم القربان لهذا الإله، فقد تكون فردية أو جماعية وقد تم استنتاج ذلك من خلال تلك الصيغ النذرية. دلتنا العبادة الفردية على أنها تكون بين العابد والمعبود، ونستدل على ذلك من خلال الصيغة التعبيرية النهائية، حيث يطلب فيها صاحب الإهداء الرحمة والمباركة من الإله. ومن بينها صيغة "ك ش م ع ق ل ب رك"⁶⁰ وصيغة "ي رح م ن م" التي تعني "منحه الرحمة والنعيم"⁶¹ وصيغة "ز را ي ب ت ن ل أن م" التي تعني "ساعده وقدم له الخير"⁶².

وقد تكون هذه التضحية جماعية، حيث كانت تقدم القرابين والأضاحي جماعياً للإله "بعل آمون"، وهذا اعتماداً على صيغة عُثر عليها على نصب دوقا ومكثر تدل على مصطلح "م زرح"⁶³ والملاحظ أن هذه الصيغة ليست غريبة

عن مجتمع البوني، حيث ظهرت في التعريفة الكبرى المعروفة بتعريفة مرسيليا منذ القرن الثالث قبل الميلاد، وهي نص يضبط تقسيم القرابين القرطاجية⁶⁴. وبهذا، فإن ظهور هذا المصطلح على النصب النوميديو-بونية قد يدل على وجود جمعية دينية يتزعمها رئيس "رب م زرح"، وكانت تمارس النشاط الديني كإعادة بناء وترميم المعابد، وأيضًا تقديم القرابين للإله "بعل آمون". حيث عُثر على نقيشة بمعبد "الإله هوتير ميسكار" بمكثر، التي أشارت إلى نشاط هذه الجمعية في ترميم المعبد⁶⁵.

بالإضافة إلى العثور على إهداء للإله "بعل آمون" من طرف اثني عشر عضوًا مسجلًا على إحدى نصوص مدينة "ألتيبوريوس" (Althiburos) " (مديانة)⁶⁶، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وجود التضحية الجماعية التي يلجأ إليها المجتمع إذا تعرض للكوارث سواء الطبيعية أو الحربية.

والملاحظ أن تقديم القرابين الجماعية للإله تذكرنا بظاهرة ما زالت إلى حد الآن منتشرة خاصة في الأرياف الجزائرية، والتي تُعرف بـ"النشرة"، وهي اشتراك جماعة من السكان في شراء عدد من الخرفان أو ثور أو بقرة، ثم تذبح ويقسم لحمها على المشاركين. أليس لهذه الظاهرة جذور تعود إلى فترة بعل آمون؟

رابعاً الخاتمة:

وفي نهاية المطاف، وجدنا أن تلك الصيغ النذرية التعبيرية تخلد ذكرى الإله "بعل آمون" في العديد من المواضيع، وأبرزها استمرارية عبادة هذا الإله باسمه الأصلي الذي ظهر منذ آلاف السنين، ولم يعتمد فقط على اسم "بعل حمون" الذي انتشر عند البونيين. وهذا يدل على تمسك هذا الشعب بأصالته. كما بينت لنا هذه الدراسة أن استمرارية عبادة هذا الإله في المجال النوميدي بهذا التبجيل والانتشار ليست غريبة، إذا عرفنا أن أصوله الأولى ظهرت مع أجداده اللوبيين، حيث عبد منذ العصر الحجري الحديث بتقديس

الكبش رمزاً له. وانتشاره على الرسوم الصخرية لم يكن عبثاً، حتى أن أفضل قربان له، اعتماداً على تلك الصيغ النذرية التعبيرية، كان متمثلاً في الكبش أو الخروف

إذن، خُلد هذا الإله على أنه السيد والمولى والمقدس وإله المعبد أو البيت. وكانوا يتقربون منه تبجيلاً وإجلالاً، وتقدم له النذور التي قد تكون فلذات أكبادهم، أي أطفالهم الصغار، إيماناً منهم بقدرته وجبروته، أو قد يتقربون منه بحرق النعاج أو العجول أو الكباش أو الخرفان، وحتى أنواع من النباتات. ولا ننسى العطور والبخور، خاصة المسك والطيب. وقد يُقدم هذا القربان بعد أو قبل تحقيق الدعوات، إما بشكل فردي أو جماعي.

كما تبين لنا أيضاً أن كتابة التاريخ المحلي القديم تحتاج إلى جهود جماعية، حتى نتمكن من تفسير العديد من الفرضيات التي جعلنا مكبلي الأيدي وعاجزين عن الكتابة. ولاحظنا أن الصيغ النذرية التعبيرية غير كافية لمعرفة خبايا هذا الإله، ويجب أن تُعزز بدراسات حول الصور الزخرفية المتواجدة على النصب، وكذلك الاعتماد على الصيغ الجنائزية إن وجدت، حتى نتمكن من إيضاح العديد من الأمور حول عبادة بعل آمون.

خامسا : الهوامش:

-
- ¹ - M.L. Uberti, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique ,Brops, 1999,p.425.
- ² - Ibid. , p.87, N°106.
- ³ -J. Ferron, Mort Dieu de Carthage (ou les stèles funéraires de Carthage),librairie Orientaliste, Paul Geuthner, Paris,1975, P. 279.
- ⁴ -S. Mayassis, Architecture religion, Symbolisme origines formation et évolution, Vol. II, (La pierre et bois), B A O A, Athènes , 1971,p. 312
- ⁵ -محمد الصغير غانم ، النصب البونية القسنطينية المحفوظة في متحف اللوفر بفرنسا، قراءة جديدة و ترجمة لكتاب فرانسوا بير تراندي و موريس سنيترار، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2012، ص.(44،4)
- ⁶ - محمد حسين فنط، حول النقائش البونية ، إفريقيا (مجلة الدراسات الفينيقية البونية و الاثار اللوبية)، العدد 11، المعهد الوطني للتراث، تونس، 1999، ص.15
- ⁷ - نفس المرجع ، ص.23-
- ⁸ - C. Picard, Catalogue du Musée Alaoui, Nouv. Série,cb.953, cb.956
- ⁹ -Ibid., p 273.
- ¹⁰ -L. Carton, Rapport sur les fouilles faites à Bulla Regia en 1890, B.A.C., 1892, p.74
- ¹¹ -C. Picard, op-cit., T.I, cb.947, p. 256, cb. 952, p.258.
- ¹² - Ali Krandel-Ben younes, Stèles Néo-puniques de Bulla-Régia, Reppal , T.I, 1985, p.(1-22).
- ¹³ -M. Leglay, Saturne Africain, Monuments T.I,Ed.Buccard, Paris, 1961, p.386 .

- A. Berthier et M. Leglay, Le sanctuaire du sommet et les stèles de Baal-Saturne, ¹⁴
Libyca (Archéo-Epigraph.), 1958, p. (23-74)
- Berthier A. et Charlier R, Le Sanctuaire punique d'El Hofra à Constantine ¹⁵
(Textes et planches), Arts et métiers graphiques, Paris, 1955.
- Bretrandy F et. Sznycer M, Les stèles puniques de Constantine, Musée du ¹⁶
Louvre, Paris, 1987.
- Le chanoire Leroy, Le temple de Ba al Saturne à Hippone, B.A.C.N° 32, 1912--¹⁷
1913, p. (47-58).
- M.Leglay, op-cit., T.II, (13-19,303) ¹⁸
- St. Gsell, Atlas Archéologie de l'Algerie. Fell.5 (Alger), n°57 ¹⁹
- St, Gsell, Tipasa, Ville de la Mauritanie Césarienne, MEFR, T.XIV, 1894. ²⁰
- L. Demeaght, Notice sur les fouilles exécutées dans les ruines De Portus ²¹
Magnus, par les soins de M. Georges Simon, BSGAO.1899, p, (459-464).
- L.Joleaud, Gravures et rites de l'eau en Afrique du Nord, Journal de la société ²²
-des Africanistes, T.3, 1933, p.266.
- M.Reygasse, Contribution a l'études des gravures rupestres du Sahara centre, ²³
Cinquantaine de Fc. Des lettres, Alger, 1932, pp.(532-533).
- M. Leglay, Saturne Africaine histoire,..., pp.(422-423). ²⁴
-
- 25- محمد الهادي حارش، أصول عبادة آمون في المغرب، مجلة الدراسات التاريخية، العدد
الرابع، جامعة الجزائر، 1988، ص 15.
- M.Benabou, La résistance Africaine à la romanisation, éd. Mespéro, Paris, 1976, ²⁶
-pp.(276-277).
- Ibid., n° 43, pl. VI, B. ²⁷
-
- J. B. Chabot, Recueil des inscriptions libyques, imp., National, Paris, 1940, n° ²⁸
-(18, 40), pp. (450- 498).
- J. G. Février, Les inscriptions néo puniques, J.A., 1916, n° 8. ²⁹
-
- 30- محمد الصغير غانم، الفن الزخرفي و الكتابة البونية في نصب سيرتا النوميديّة، دار
الهدى، عين مليلة، 2013، ص ص (16- 17)

- 31- A. Maitrot De la Motte Carpron, op-cit., E. 16, p. 158.
-
- 32- محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية و التراثية للتاريخ الجزائري القديم، ج2، الجزائر، 2011، ص ص. (262-263)
- 33- P..Xella, Baal Hammon (recherche sur l'identité et l'histoire d'un dieu phénico-punique, Roma, 1999,p.87.
- 34- A. Ferdjaoui, Les stèles puniques de Constantine, Rappal, T.IV, 1988, pp.(231--272).
- 35- M.H. Fantar, Carthage approche d'une civilisation, T.2, Alifs les éditions de la méditerranée, Tunis, 1998, pp.(268-269).
- 36- A. Berthier et R. Charlier,op-cit., p. (124-125).
-
- 37- J.B., Chabot ,Recueil des inscriptions libyques, imp., National, Paris, 1940 ,p -(72-73).
- 38- M. H. Fantar, (1990) Baal Hammon, Reppal, T. V,p,80.
- 39- A. Berthier et R. Charlier,op-cit., p. (61-62).
- 40- M.H., Fantar, op-cit., p. 85.
- 41- J. B. Chabot, op-cit., p. 68
- 42- M. Leglay, op-cit., p. 129.
- 43- J.B., Chabot, op-cit., n° (15,16), p.501.
-
- 44- J.G. Février, op-cit., p.64.
-
- 45- L. Dussaud, Précisions épigraphiques touchant les sacrifices puniques d'enfant, -CRAI, 1949, p.371
- 46- محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص.25.
- 47- Tertullien, Apologeticus, texte établi et traduit par Jean-Pierre Weltzing, les belles lettres, paris, 1929, IX, 2.3.4.p.21.
- 48- St. Gsell, H.A.A.N., T. VI, p.166.
-
- 49- M. Leglay, Saturne Africain, Monument, T.II, pp.(208,212,325)
-
- 50- J.Chabot, op-cit., n°(1-25), pp.(74-105).
-
- 51- Ibid.,n°15, p.103.
-
- 52- J.G. Février, Molchomoro, R.H.R., T.CXCII, 1953, pp.(8-11).

- ⁵³ -R. Charlier, La nouvelle serie des stèles puniques de Constantine et la question des sacrifices dites Molchomore en relation avec l'expression BSRM BTM, Karthago, T.IV, 1953, p.26.
- ⁵⁴ - محمد التواخي ، معجم عبري عربي ، منشورات دار الكتب ، بيروت ، لبنان ، 2002 ، ص.233.
- ⁵⁵ -J.Carcopino, Survivances par substitution des sacrifices d'enfants dans l'Afrique -romaine, R.H.R, T. II, 1932, pp.(592-599).
- ⁵⁶ -J.B., Chabot, op-cit., p.460.
- ⁵⁷ -Ibid., n°20, p.502.
- ⁵⁸ -J.G. Février, Une corporation de l'encens à Althiburos, semitica, IV, 1951-1952, pp(19-24).
- ⁵⁹ -Alia Krandel Ben-Younes, op-cit., p.447.
- ⁶⁰ -J.G. Fevrier, op-cit., p.64.
- ⁶¹ -J.G. Février et A. Berthier, op-cit., n°8, p.70.
- ⁶² -A. Berthier et R. Charlier, op-cit., n°116,p.53, pl.XXII, D ; pl. XXXIII, C.
- ⁶³ - J.G. Février, Glmes -Néopunique..., n° (1.3.5), p.64.
- ⁶⁴ - J.G. Février, Remarques sur le grand Tarif du Marseille, CB , T. VIII, 1958--1959, p.35.
- ⁶⁵ - J.G. Février,op-cit., p.64.
- ⁶⁶ -Ph. Berger, Note sur la grande inscription Néo punique et sur autre inscriptions d'Althiburos, J.A., 1887, pp.(457-466).